موقفنا من التراث

د. عبد الباسط بدر

من البدهي أن يكون لكل حركة أدبية مواقف صريحة معلنة من القضايا الأدبية والنقدية الحساسة تظهر في المبادئ التي يعلنها روادها، وفي كتاباتهم التنظيرية، وفي المقاييس النقدية الى يطبقها نقادها، وكثيرًا ما تكون هذه المواقف هي السمات التى تميز حركة أدبية عن أخرى، وبقدر ما يكون للحركة الأدبية مواقف واضحة معلنة تتكامل نظريتها، وتتقارب تياراتها، وتقل الخلافات والانقسامات بين دعاتها.

ومثلما صدقت هذه البدهية على الحركات الأدبية السابقة تصدق على دعوة «الأدب الإسلامي» التي يشتد عودها يومًا بعد يوم، فهذه الدعوة الأدبية البناءة في حاجة إلى كتابات واضحة ومفصَّلة تبين موقف دعاتها من القضايا الأدبية والنقدية الأساسية، بدءًا بقضية «الموقف من التراث» ووصولاً إلى أدق قضايا التجديد في الفنون الأدبية المختلفة. ولا شك أن إعلان المواقف يقطع الطريق على كل المشبهين، الذين يتاجرون بالافتراضات والظنون، فما أكثر ما رمى دعاة الأدب الإسلامي بالافتراضات، فاتهموا، وحوكموا، وصدرت عليهم أحكام قطعية في قضايا لم يقولوا فيها شيئًا بعد.

ثم إن إعلان المواقف جزء متمم لإعلان المبادئ، يفصِّل ما أجملته المبادئ، وهو لذلك جزء من شخصية الدعوة وكيانها.

وسوف أناقش في السطور التالية واحدة من القضايا الأساسية التي نحسب ــ للوهلة الأولى ـ أننا في غنىً عن الخوض فيها، وأنها من المسلمات المحسومة. غير أن تدقيق النظر في جوانبها، والشبهات التي يثيرها بعض خصوم دعوة «الأدب الإسلامي»، والعثرات التي يقع فيها بعض أنصارها ودعاتها، لخطأ في الاجتهاد، أو بسبب خلفيات نقدية معينة.. كل ذلك يكشف الحاجة الملحة إلى الكتابة فيها، وفي غيرها من القضايا، ويكشف خطأ احتباس الآراء في الصدور.

تبدأ قضيتنا بهذا السؤال الكبير:

هذا التراث الأدبي الضخم، الذي يملأ رفوف المكتبات ومخازن المخطوطات.. أين يقع في تقويمنا؟ وكيف نتعامل معه؟

لعل الجزء الأهم في السؤال، والذي يختبئ تحت جلد كلمة «التراث» وينتظر الآخرون الإجابة عليه هو: ما الموقف من التراث الأدبي الذي يخالف توجهاتنا ومبادئنا؟ ما الموقف من «الأدب الجاهلي» بمعناه الزمني؟ وما الموقف من «الأدب الجاهلي» بمعناه «المضموني» الذي أنتجه الأدباء بعد عصر الجاهلية؟.

من الخطأ الفاحش أن نجيب على تلك الأسئلة الكبيرة إجابة قصيرة قاطعة، فللقضية جوانب متعددة ومتباينة لا يسعها جواب واحد. ولا بد من النظر في كل جانب والإجابة عليه حسب طبيعته.

وهنا أقرر ـ ابتداءً ــ أن ما سأطرحه من مقولات رأي واحد من المهتمين بالأدب الإسلامي والداعين إليه، وإني أقدمه للحوار والمناقشة، لنخلص منه إلى رأي يُشكل موقفًا عامًا شاملاً يمثل موقف دعوة «الأدب الإسلامي».

في يقيني أن الموقف من التراث له مرتكزات أساسية وله تفريعات.

أما المرتكزات الأساسية، فأهمها: أن التراث الأدبي هو الجذور الحقيقية لأدب كل أمة، بكل ما فيه من دعوات واتجاهات تتفق أو تختلف مع هذا التراث، فهو امتدادها الضارب في عمق الزمن وهذه الحقيقة أكثر ثباتًا ووضوحًا في آداب الأمم التي تقل فيها الفروق اللغوية بين العصور، والتي تحرص على أن تنقل تراثها الأدبي إلى أجيالها وتتجاوز تلك الفروق.. أما الأمم التي انقطع حاضرها عن ماضيها، أو لم يكن لها تراث مدون، فهي تبحث عن جذور أدبية تنتسب إليها خارج أرضها، شأن كثير من الأمم الأوروبية المعاصرة التي ولدت لغاتها قبل قرون قريبة وفقدت تاريخها الأدبي القديم، فهي تمد جذورها إلى الأدب الروماني، والأدب الأغريقي، رغم بعد المسافة الجغرافية بينها وبين مواطن تلك الآداب «إيطاليا واليونان».

إن الانتماء إلى جذر أدبي يضرب في عمق الزمن حاجة أساسية لكل أمة معاصرة، تمامًا كالانتماء إلى جذر تاريخي يظهر طوابع الشخصية وتسلسلها من الزمن البعيد إلى الزمن الحاضر.

وإننا عندما نقرر هذه الحقيقة نبني قواعد موقف أولي شامل من التراث بكل ما فيه. هذا الموقف هو: الاهتمام بالتراث، والحرص عليه، والاستفادة منه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وفق المبادئ الأساسية للأدب الإسلامي ويزداد هذا الموقف ثباتًا وقوة بالخصوصية التي تتميز بها دعوة «الأدب الإسلامي» عن غيرها في هذا الميدان.. وذلك أن الأدب الإسلامي يبدأ من نقطة تراثية تبعد عنا قرونا كثيرة، هي، ظهور الدعوة الإسلامية وارتباط الأدب بها منذ عهد النبوة، ارتباطًا حميمًا استمر عبر العصور المتوالية إلى وقتنا المعاصر. وسيستمر ــ إن شاء الله ـ ما بقي أديب مسلم يملأ وجدانه الإيمان، ويدخل في نسيج إبداعه.

إن دعاة الأدب الإسلامي يجمعون على أن النصوص الأدبية الإسلامية الأولى هي التي ظهرت في عهد البعثة النبوية، وهي التي حددت الأسس العملية الإسلامية النصوص التي ظهرت فيما بعد، وما تزال تلك الأسس قواعد عامة لعلاقة النص بالإسلام إيجابا وسلبا ثم التطورات الكبيرة في الأجناس الأدبية والأدوات الفنية. فقصائد الشاعر عمر بهاء الدين الأيدي ـ مثلاً ــ لا تختلف عن قصائد عبد الله بن رواحة في احتوائها للقضايا الإيمانية وبثها للمشاعر التي تتولد عنها، وإن اختلفت في أسلوب احتواء المشاعر وطريقة بثها. هذا التطابق في الأصول ينشئ علاقة حميمة بالجذور التراثية ويجعل التراث جزءا من الحاضر يسكن فيه بشكل لا يخطئه الدارسون.

ولا أجد ـ فيما أعلم ــ حركة أدبية يسكنها التراث وتلتحم به على هذا النحو ـ حتى إن هذه «التراثية» تصبح عند خصوم الأدب الإسلامي تهمة تصم الدعوة وأصحابها بالتخلف والرجعية. وهي تهم باطلة، لعلنا نناقشها في دراسة مستقلة إن شاء الله.

تلك هي خلاصة المرتكزات الأساسية لموقفنا من التراث بعامة. وهي تحمل درجة عليا من الاهتمام والحرص والعناية بإبداع أسلافنا، وتحمل توظيف أو دعوة دائمة لتوظيف واع ومستمر، وهو ما تحمله تفريعات موقفنا من التراث، وما

أريد أن أعبر إليه:

فكيف نوظف التراث من عصرنا الحاضر؟؟

إن تقويم التراث لا تظهر حقيقته، ولا يؤتي ثماره، إلا عندما نتعامل معه، ونوظفه في أحد الميادين الحقيقية.. فيظهر تقديرنا أو إهمالنا له.. وإذا اقتصر التقويم على الشعارات المعلنة ضاعت القيمة وغابت الحقيقة.

إن توظيف التراث عملية تفصيلية تدخل إلى أعماقه، وتجعل كل عمل أدبي تراثي حالة محددة، نتعامل معها وفق طبيعتها ووفق الموقع الذي نوظفها فيه. وتتجمع هذه الحالات في محاور ثلاثة كبيرة هي: محور معرفي، ومحور ذوقي، ومحور تربوي.

أولاً: المحور المعرفي:

المعرفة بوابة كبيرة تدخل منها أغراض شتى، تبدأ بالمعرفة الأولية والسطحية لمجرد العلم بالشيء، وتصل إلى الثقافة المتعمقة والمتخصصة، ويجتمع فيها الضروريات والكماليات، فتحت شعار المعرفة، يمكن أن يهتم المرء بالتاريخ الصيني القديم ويبذل وقتًا وجهدًا في تتبعه، وبالشعار نفسه يمكن أن يبحر إلى أصول الأدب الذي يقف على شاطئه المعاصر. وإذا كان اهتمام المرء بالتاريخ الصيني لونًا من التميز أو الترف الثقافي لغير المتخصص، فإن اهتمامه بتراثه الأدبي الثقافي أقرب إلى استكمال ملامح الشخصية الثقافية وبناء الذات.

ونحن نطالب الأديب الإسلامي بتوسيع آفاقه الثقافية، وبالتتلمذ على التراث، ليؤسس كيانه اللغوي، والذوقي في مناخ آمن لا يفسده اللحن والركاكة، وأن يجول في آفاقه الممتدة من امرئ القيس والنابغة وزهير، إلى أعتاب العصر الحديث كما نطالبه أن يؤسس تكوينه الإبداعي بجناحين متناظرين: التراث والمعاصرة فيكون التراث الأدبي الإسلامي جزءًا من ثقافته الأولى كما يكون الإبداع الأدبي المعاصر جزءًا آخر منها، ويكون التراث الأدبي العام رافدًا حقيقيًا ودائرة واسعة يظهر فيها التراث الأدبي الإسلامي ويدعم ارتباطه به، ويزيد من حذقه للأدوات الفنية، وبخاصة اللغة والصورة.

والأمر نفسه بالنسبة للناقد الإسلامي، ينبغي أن يمتلك أرضية ثقافية واسعة، أول حدودها تراثنا الأدبي، وبدون هذه الأرضية تبقى أدواته ناقصة وعاجزة عن الوصول إلى أحكام نقدية صحيحة.

إذن فنحن نوظف التراث العام كله، ما يوافق وما يخالف مبادئنا وتوجهاتنا في المحور المعرفي، ونخُصّ الأديب والناقد الإسلامي على أن يبحر إلى أقصى جزره ويرود أبعد بحاره.

وهذا اللون من التوظيف ليس جديدًا على الشخصية المسلمة، بل هو منهج دأب عليه أسلافنا المفسرون وشرّاح الحديث واللغويون والصرفيون والبلاغيون والنقاد.. واستفادوا منه في تطبيقات عملية غير قليلة وفي الوصول إلى ميادين جديرة من المعرفة. فقد تعامل هؤلاء مع النص الأدبي الجاهلي على أنه أثر وتراث ذو قيمة كبيرة في الاستدلال المعرفي وفي إثبات القاعدة. ونظروا إليه باعتباره إبداعًا عربيًا في ذروة النقاء، واستنبطوا منه أصول اللغة وقواعدها، وبعض خصائص الأسلوب العربي وجوانب من بلاغته، بل إنهم وظفوه في تفسير أقدس ما لدى المسلم: القرآن الكريم، الذي أنزله الله بلسان عربي مبين، فقد استشهد المفسرون ببعض أبيات من الشعر الجاهلي، وبعض النثر، كالأمثال والحكم والأقوال السائرة، واستنبطوا من دلالاتها ما يفسر دلالات ألفاظ وردت في بعض الآيات الكريمة وعلى سبيل المثال نجد شيخ المفسرين الطبري يستشهد بالشعر بين الحين والآخر. يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ «.. وأصل الإخلاد في كلام العرب الإبطاء والإقامة، يقال منه: أخلد فلان بالمكان إذا أقام به، وأخلد نفسه إلى المكان: إذا أتاه من مكان آخر ومنه قول زهير:

لمن الديار غشيتها بالفرقد
كالوحي في حجر المسيل المخلد

يعني المقيم به. ومنه قول مالك بن نويرة:

بأبناء حي من قبائل مالك
وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

(جامع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٨٧ ــ ٨٨ دار المعرفة).

كذلك فعل بعض شراح الحديث الشريف، الذين فزعوا إلى النصوص الجاهلية المتوارثة واستعانوا بدلالاتها للوصول إلى دلالة الحديث أو إلى المعنى الذي يوجهونه إليه. جاء في فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني قوله في باب قول النبي ﷺ «وايم».

«حكى ابن التين عن الداودي قال: ايم الله معناه اسم الله. أبدل السين ياء وهو غلط فاحش لأن السين لا تبدل ياء. وذهب المبرد إلى أنها عوض من واو القسم. وأن معنى وايم الله. الله لأفعلن. ونقل عن ابن عباس أن يمين الله من أسماء الله. ومنه قول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدًا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

«فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١١/ ٥٢٢ دار المعرفة».

فإذا تجاوزنا المفسرين وشراح الحديث إلى اللغويين فإننا ندخل أكبر مراكز توظيف النصوص الجاهلية وأكثرها اهتمامًا به وحرصا عليه. وكان من هؤلاء اللغويين القراء والأئمة والأتقياء الذين لا يُشك في دينهم وورعهم، كأبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي ويونس بن حبيب وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي... إلخ.. والأمر نفسه بالنسبة للنقاد والبلاغيين كابن قتيبة والآمدي والقاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني.. إلخ.

والجدير بالذكر أن الذين وظفوا النصوص الجاهلية في استنباط القاعدة وفي بيان الدلالة والاحتجاج لها اهتموا بجانب الصياغة وجانب الدلالة اللغوية وحسب، ولم ينظروا إلى «المضمون الجاهلي»، وتعاملوا مع النص على أنه مادة أساسية لموضوعاتهم، حتى ولو كان فيه تجاوز للقيم الخلقية، جاء في تفسير الطبري قوله في شرح الآية «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض..» «اثاقلتم إلى الأرض: يقول: تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها، وقيل «اثاقلتم» لأنه أدغم التاء في الثاء فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها، لأن التاء مدغمة في الثاء، ولو أسقطت الألف وابتدئ بها لم تكن إلا متحركة فأحدثت الألف لتقع الحركة بها، كما قال جل ثناؤه ﴿حتى إذا اداركوا فيها﴾، وكما قال الشاعر:

تولي الضجيع إذا ما استافها خصرا
عذب المذاق إذا ما تابع القبل

«جامع البيان في تفسير القرآن ٦/ ٩٤ دار المعرفة».

ولا مجال ـ في هذا الشاهد وأمثاله ـ للحديث عن الموقف من المضمون؛ لأن توظيف الشاهد لم يكن يهتم بغير موقع الاستدلال، وليس في السياق أية إشارة إلى المعنى، سلبًا أو إيجابًا.

إن هذا التوظيف المعرفي يلغي كل اعتراض على الاهتمام بالتراث أيًا كان مضمونه، ويبدّد الشبهات التي يتطوع بها بعضهم، والذي تتهم دعاة الأدب الإسلامي باهمال أدب العصر الجاهلي، والنصوص التراثية اللاحقة التي تخرج عن منهجهم، ونحن نقرر هنا أن هذا اللون من التوظيف للتراث صحيح وسليم، ومفتوح للباحثين وللنقاد الإسلاميين ما داموا يجدون حاجة إليه.

وثمة نقطة أخرى تتعلق بنصوص العصر الجاهلي بالذات لا يجوز أن تغيب عنا في هذا الميدان، وهي طبيعة النص الأدبي في ذلك العصر، وحقيقة مضمونه. فمن الثابت أن عصر الجاهلية لم يكن في جميع جوانبه فسادًا وانحطاطًا، بل كانت «الجاهلية» صفة تغلب على عدد من ميادينه، في مقدمتها ميدان العقيدة. ولكن لم تكن الميادين الأخرى تخلو من «مكارم الأخلاق» التي جاء رسول الله ﷺ ليتممها، وقد أشار رسول الله ﷺ في بعض أحاديثه إلى بعض تلك المكارم، كقوله «شهدت حلف الفضول مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم

وأني أنكثه» (مسند الإمام أحمد ٣/ ١٢١ رقم الحديث ١٦٥٥ تحقيق أحمد محمد شاكر) وفي رواية أخرى: «ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت» (سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤).

ثم إن الأدب الذي يصور الحياة في كل مجتمع يميل في الغالب إلى رسم صورة مثالية تبرز مكارم الأخلاق أكثر مما تبرز الهبوط والانحدار وهذه الحقيقة تتجلى في أدب العصر الجاهلي بوضوح، فنصوصه تعرض علينا في الغالب صورًا نموذجية للشجاعة والمروءة والكرم والوفاء والنجدة والعفة.. ولا سيما في الفخر والمديح والرثاء... ولولا ملامح جاهلية تخالط تلك الصفات في تلك الأغراض لما ظننا أنها من عصر الجاهلية لذلك لم يهمل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك الأدب، وكان بعضهم ـ كأبي بكر الصديق وابنته عائشة رضي الله عنهما ـ يحفظون قدرًا كبيرا منه، ويروونه، ويتمثلون به في المواقف المناسبة، ولذلك أيضًا لم يهمله كتاب السيرة والتاريخ، ولم يتحرج أحد من العلماء من روايته. ونحن اليوم عندما نؤكد اهتمامنا به، باعتباره جزءًا من التراث، لا نخرج عن سواء السلوك الإسلامي.

المحور الثاني في توظيف النصوص الأدبية التراثية هو المحور الذوقي

ويعني الإقبال على النصوص لما فيها من قيم فنية يميل إليها الذوق، ولإشباع الحاسة الجمالية «البيانية» لدى الفرد، بما يحمله النص الأدبي من سحر الصياغة والدلالة.

وهذا اللون من التوظيف قديم أيضًا، اهتم به الرواة والمتذوقون وعلماء الأدب.. فمنذ القرن الهجري الثاني بدأ جامعو الأدب القديم يختارون مما يتجمع لديهم نصوصا متميزة ويذيعونها على الناس، على نحو ما فعله المفضل الضبي في «المفضليات» والأصمعي في «الأصمعيات»، وأبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب» وابن الشجري في مختاراته... وتمتد سلسلة الاختيارات بعد ذلك وتدخل منعطفًا ذوقيا متميزًا على يد أبي تمام الذي صنع مختاراته الشهيرة «الحماسة».. فكان فيها أشعر منه في شعره، وتبع أبا تمام متذوقون كثيرون: أدباء وكتّابٌ وعلماء وصنفوا مختارات مشابهة.. ومازال هذا المنهج الذوقي يشد متذوقي الأدب ويدفع بعضهم إلى صنع مختارات جديدة من التراث، يتلقطونها من إبداع الأسلاف على مرّ العصور، بدءًا بالعصر الجاهلي ووصولًا إلى ما قبل العصر الحديث. كما فعل حسين المرصفي في كتابه «الوسيلة الأدبية» والبارودي في مختاراته والمنفلوطي في مختاراته أيضا..

إن هذا المنهج توظيف ذوقي كبير للتراث الأدبي، يقوم على قواعد الانتقاء والاختيار، ويعتمد على المقاييس التي يرتضيها صاحب الاختيار، وهي مقاييس تنصب على الشكل والمضمون.

وفي يقيني أن الأديب الإسلامي، والناقد الإسلامي، والمتذوق أيضًا في حاجة إلى هذه المختارات، ومن ثم فهو في حاجة إلى هذا اللون من توظيف التراث واستثماره، وذلك كما ـ أسلفت ـ لإشباع الحاسة الجمالية «البيانية» عند الإنسان السويّ، وفي تعزيز روافد الإبداع عند الأديب.

ومن البدهي أننا سنطبق في ذلك التوظيف مقاييسنا الجمالية في الشكل والمضمون، وهي مقاييس تسعى للارتقاء بالذوق الإنساني إلى أعلى درجات الجمال والنقاء بعيدًا عن الشوائب الفنية والمضمونية، ومن الطبيعي أننا سنجد في تراثنا نصوصًا كثيرة تتحقق فيها تلك المقاييس.

المحور الثالث الذي نوظف فيه التراث هو محور تربوي:

وهو محور قديم جدير، بل ومتجدد دائمًا. فعلى الرغم من كل ما يدعيه «الشكليون» من حصر قيمة الأدب في أدواته الفنية «الشكلية» وإهدار قيمة المضمون، على الرغم من أقوالهم هذه، كانت الأمم، ولازالت ستبقى، تعتمد النصوص الأدبية التراثية جزءًا من منهجها التربوي الذي تنشئ أجيالها عليه. قديمًا قبل أن تنشأ المدارس الحديثة والمناهج المقننة. تحدثنا الأخبار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى الأمصار «أما بعد: فعلموا أولادكم العوم والفروسية، ورَوّوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر» (البيان والتبيين ٢/ ١٨٠ تحقيق عبد السلام هارون). وكتب رسالة إلى أبي موسى الأشعري جاء فيها: «مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب» (العمدة ١/ ١٠) وعلى امتداد العصور الإسلامية كانت النصوص الأدبية التراثية المنتقاة جزءا من التربية التي نشأت عليها الأجيال، فكان الفتى يحفظ بعد آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة قصائد ـ وربما دواوين ـ من عيون الشعر العربي ويحفظ خطبًا وأقوالا مأثورة تعد جزءًا من التراث الذي سبق عصره. (للتوسع في هذه القضية انظر: د. مصطفى عليان: نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده ص ١٥١. دار البشير. عمان ١٤١٢هـ).

وفي العصر الحديث عندما نظمت المدارس على نحو مغاير لما كانت عليه من قبل صار الأدب بنصوصه التراثية جزءا من المنهج التربوي، بدءا بمرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية ـ حيث نُنتقى للطفل أشعار خفيفة ذات دلالات خلقية عالية ليحفظها ويرددها، ومرورًا بمراحل التعليم المتوالية الابتدائية والمتوسطة والثانوية حيث يكون للنص الأدبي التراثي مكانة مهمة في المنهج الدراسي وتنتقي النصوص التي تربي الذوق والقيم في الطالب.

وفي المرحلة الجامعية يصبح التراث الأدبي جزءًا أساسيًا من الدراسة المتخصصة في كليات الآداب واللغات.

ومثلما يقوم المحور الذوقي على قاعدة الاختيار فإن المحور التربوي يقوم على القاعدة نفسها وبمقاييس أكثر دقة وحساسية، تؤثر فيها التوجهات العقدية والفكرية والسياسية للمجتمع. وتشكل لجان لوضع الضوابط ولجان أخرى للاختيار، ولجان ثالثة للمراجعة والتدقيق، فلا يوضع النص الأدبي التراثي بين يدي الطالب وبخاصة في مرحلة ما قبل الجامعة ـ إلا بعد أن يمر بشبكات تصفية كثيرة ودقيقة.

إن هذا المحور ـ محور توظيف التراث في الميدان التربوي ـ يتداخل مع المحور الذوقي في تحكيم الذوق في اختيار النصوص ـ ولكنه يتجاوزه عندما يفسح المجال لآثار التوجهات العقدية والفكرية والسياسية.

وإن دعاة الأدب الإسلامي يعدون التراث الأدبي كله من عصر الجاهلية إلى أعتاب العصر الحديث منجمًا غنيًا بالكنوز، نحتاج منه النصوص التي تتحقق فيها وصية عمر للمسلمين، فتتميز محاسن الشعر ومحاسن النثر. لتكون جزءًا من منهجنا التربوي.

.. وهكذا.. نخلص مما سبق إلى أننا ـ دعاة الأدب الإسلامي ـ ننظر إلى تراثنا الأدبي على أنه نشاط إبداعي يتضمن تجارب إنسانية مختلفة لمبدعيها، في بيئاتهم الزمانية والمكانية، تتصل بتجارب الإنسان في كل عصر، وتحمل سمات حياته، وقيمه المعنوية والجمالية وإننا في تعاملنا معه ننطلق من ركائز ثابتة هي الاهتمام به والحرص عليه والاستفادة منه في المحاور الثلاثة، محور المعرفة، ومحور الذوق، ومحور التربية، وفق مقتضيات كل منها.

وإننا في هذا الموقف ننطلق من قاعدة إسلامية ثابتة، ومن تطبيق الأسلاف لها، ومن اقتناعنا الكامل بها. وهي قاعدة لا تفرط في تقدير التراث فتقدسه وتستسلم لكل ما جاء فيه استسلاما كاملا، ولا تفرّط في شيء منه؛ لأننا في حاجة إليه في إحدى محاور التوظيف الثلاثة، وهذه المحاور تضع كل نص من التراث موضعه حتى ولو كان فيه شيء قليل من التجاوز.

وأحسب أن هذا الموقف هو الذي يحسن تقويم التراث ويحسن التعامل معه والاستفادة منه. وهو الذي يسعى أن يفقه دعاة الأدب الإسلامي وقادته ومناصروه